مقالات غير محكمة, ندوة عمارة المساجد، م ١٠ أ، ص ص٢٤٣-٢٦٠، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود (١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م)

الجامع الأعظم في غرناطة الإسلامية: دراسة تاريخية

صالح بن محمد السنيدي

قسم التاريخ والحضارة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الرياض، المملكة العربية السعودية

ملخص البحث: كانت غرناطة من اعظم مدن الاندلس و احتوت على العديد من المساجد و منها الجامع الاعظم. تتناول هذه الورقة عدة امور تتعلق بهذا المسجد و منها تاريخ المسجد، صفاته المميزة، شكله و ابعاده، تصميمه و العناصر المكونة له، مئذنته و المواد التي استعملت في بنائه. تخلص هذه الورقة بسرد احداث نهاية هذا المسجد العظيم.

المقدمة

حظيت غرناطة كغيرها من المدن الإسلامية بنصيب وافر من المساجد، أولتها عنايتها واهتمامها، منذ أن تحولت إلى مدينة إسلامية كبرى، وقد تجلى ذلك بوضوح في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، عندما حولها الزيريون إلى عاصمة إقليمية مهمة، أصبحت هدفا يؤم من قبل أعداد كبيرة، وصاحب ذلك حركة عمرانية نشطة، كان للمساجد نصيبها منها؛ وليس معنى ذلك أنها لم تلق اهتماما في هذه الناحية من قبل الحكومة المركزية في قرطبة قبل هذا الوقت، فالدلائل كلها تشير إلى الاهتمام الواضح بأمر هذه المنشآت منذ الوهلة الأولى التي انساحت فيها الجيوش الإسلامية فاتحة ومجاهدة في شبه الجزيرة الأيبيرية، حيث نالت هذه الولاية نصيبها منها. ولكن غرناطة في القرون التي خلت كانت بلدة صغيرة، فكان نصيبها على قدر حجمها.وقد بلغت المدينة أوجها وعظمتها أيام بني نصر، بعد أن أصبحت موئل مسلمي الندلس، إذ قصدوها طلبا للامن والسلامة عندما بدأت تتهاوى معاقلهم الواحدة تلو الأخرى، في تلك الفترة تكاثرت المساجد بما يتناسب وهذه الأعداد الكبيرة التي استقرت في غرناطة وأرباضها، حتى قدرها البعض بما ينيف عن مائتي مسجد، تناثرت في أحياء المدينة وأرجائها.[١، ص ٤١] و لقد تعددت المساجد وتناثرت في حارات غرناطة وأزقتها بما يتماشى والروح الدينية الملتهبة والتي أججها الصراع الديني الذي أذكت ناره الحرب الصليبية المعلنة لاجتثاث المسلمين من شبه الجزيرة الأيبيرية، فالمسجد رمز الإسلام والكنيسة رمز النصرانية، ولهذا فقد أخذت هذه الظاهرة بعدا آخر خاصة في أيام غرناطة الخيرة، فلا نستغرب أن تضمن اتفاقية استسلام غرناطة للملكين الكاثوليكيين بندا ينص على احتفاظ المسلمين بمساجدهم، ولا يسمح لنصراني بدخولها أو المس من كرامتها والحط من قدرها، لكن بعد سقوط المدينة فرض المنتصر إرادته على المغلوب وألقى بكل وعوده وعهوده في سلة الإهمال كما رأينا، وقام بتقسيم هذه الأماكن

المخصصة لعبادة المسلمين بمرافقها وأوقافها وما يتعلق بها على دوائره وهيآته المختلفة، وقد نالت الإدارة الدينية نصيب الأسد منها.

وكما ذكرنا فقد أطلعتنا كتب الأوقاف الكنسية على جزء مهم من هذا الواقع المؤلم، حيث حصرت نصيبها منها، وحددت مواقعها التقريبية أحيانا، وأعطت بعضا من المعلومات عنها بما يخدم سجلاتها الخاصة التي وضعت تحت تصرف إداريها وموظفيها؛ وقد استطعنا التعرف على اثنين وسبعين منها، تأكد لنا أنها مساجد، بينما توقفنا عند مجموعة أخرى أدخلت في قائمة المساجد مع أنه يصعب تصنيفها من ضمنها لاعتبارات متعددة، منها صغر المساحة مما يصعب اعتبارها مسجدا، أو ملاصقتها لمسجد آخر، أو لاعتبارات أخرى أشرنا لها عند الحديث عنها في حقل الأوقاف؛ وهناك عامل مهم يجب ملاحظته عند دراسة المساجد من واقع السجلات الكنسية هذه، يتمثل في التباس الأمر على محرريها بين ما هو مسجد وما هو ملحق بالمسجد كبيوت الأئمة والمؤذنين ثم فيما يتعلق بها من أوقاف ونحوها، وكذلك بين ما يمكن تصنيفه زاوية أو رباط أو نحو ذلك مما خصص لأهداف دينية. ومن خلال هذه الأراشيف الكنسية التي تعتبر أهم مصادرنا لعدد كبير من المساجد خاصة ما يتعلق بواقعها بعد السقوط، وما يسندها من مصادر أخرى، نستطيع أن نخرج بتصور عام عن توزيع المساجد على خريطة غرناطة الإسلامية (شكل ١-٢)، يمكن تلخيصه بانه عادل ومنصف، إذ استقطبت الأحياء ذات الكثافة السكانية نسبة مهمة منها، إذ استقطبت الأحياء ذات الكثافة السكانية نسبة مهمة منها، فمثلا كان نصيب ربض البيازين منها ثلاثون مسجدا تقريبا تقاسمتها ثمان من الدوائر الكنسية بعد سقوط المدينة، [٢، ص ١٣٢] مثل مسجد البيازين الكبير، بينما يقل العدد إلى النصف تقريبا في القصبة، والربع في مدينة غرناطة التي تضم الجامع الأعظم والأحياء التجارية، وتتناقص نسبة التوزيع حتى تصل حد التواضع في الأحياء الجنوبية الشرقية كنجد والفخارين وحي اليهود نظرا لقلة قاطنيها لكونها حدائق ومنتزهات ومقابر، او لأنها ذات أغلبية غير مسلمة كحي اليهود.

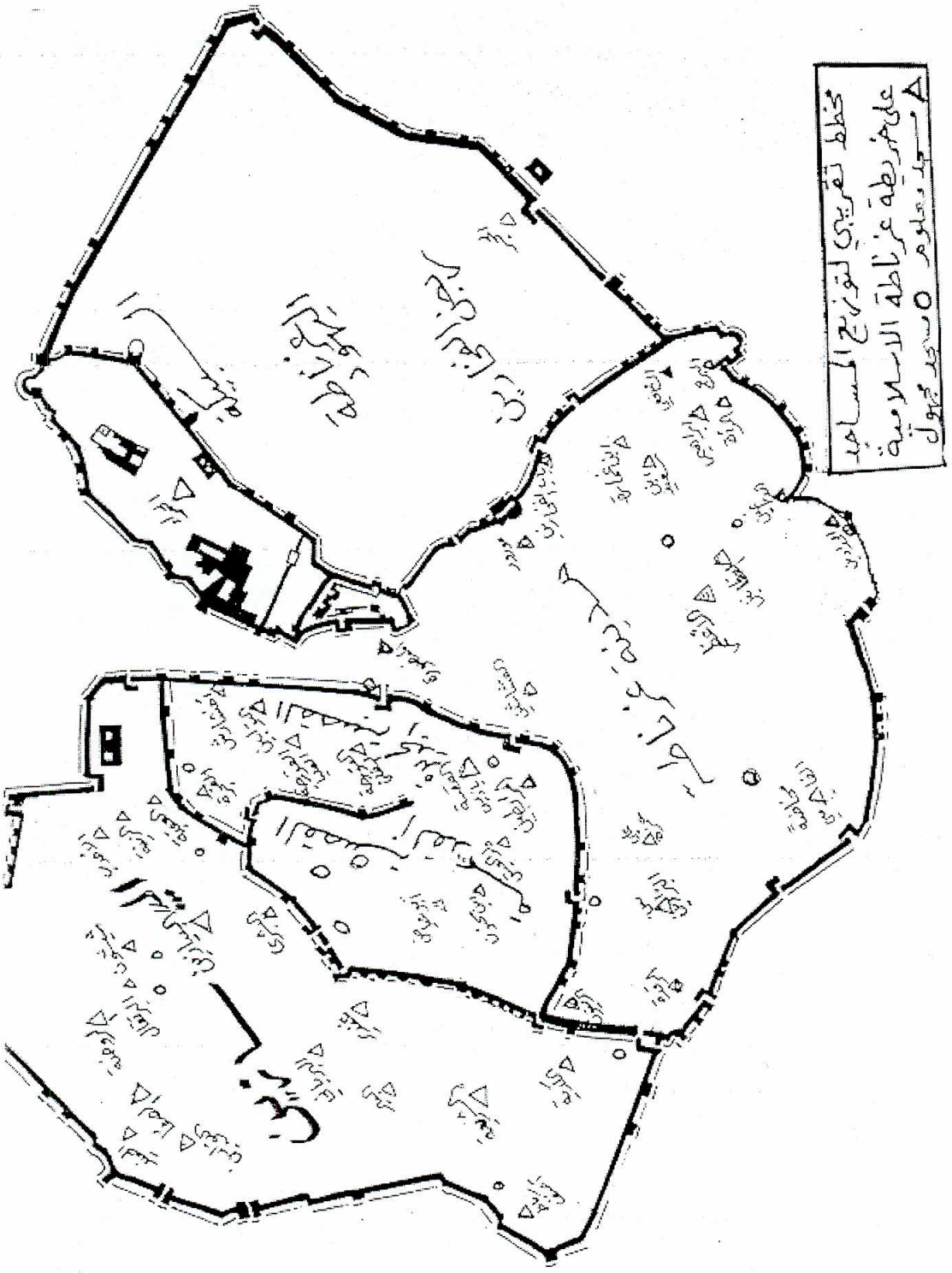
وكما كان للكنائس بهيآتها المتعددة نصيبها من تلك المعابد الإسلامية، فقد أصبحت سبعة عشر من المجموع الذي استطعنا التعرف عليه مقرا لكنائس، بينما حول عدد آخر منها إلى مرافق ومنشآت أخرى تابعة للكنائس حينا ومستقلة عنها في أحيان أخرى، إذ استأثرت المشافي وأماكن التعليم بأقسامها المتعددة برقم ليس القليل منها، [٢، ص ٢٣٢] وتحول البعض الآخر إلى سكن خاص لرجال الدولة والمتنفذين فيها أو ضمت إلى مساكن مجاورة خاصة الصغيرة منها، وفي هذا السياق نشهر إلى أن محكمة غرناطة العليا التي تأسست بعد السقوط، احتلت موقع أحد المساجد وهو مسجد أبي إياد في القصبة القديمة، كما آل بعضها إلى مصير مجهول، أو ترك دون صيانة وظل مهجورا حتى تهدم، أو استغل بشكل سيء كاستعماله زريبة للدواب مثلما حصل لمسجد ابن غمارة والبزارين، أو نحو ذلك مما يطول به الحديث لاسيما وقد تطرقنا له بتوسع في الصفحات القادمة.

الجامع الأعظم

تركز بقية هذا البحث على الجامع الاعظم في غرناطة حيث سيتم التركيز على العديد من الجوانب المتعلقة به بدءا بنشأته و وصولا الى نهايته.



شكل ١: مخطط غرناطة الاسلامية.



شكل ٢: مخطط تقريبي لتوزيع المساجد في غرناطة الاسلامية.

أهمية الجامع و ومكانته

يحتل الجامع الأعظم ــ الذي تقوم كاتدرائية سجراريو Sagrario مكانة في غرناطة اليوم ــ مكانة متميزة في تاريخ المساجد ليس بالأندلس وحدها بل في الغرب الإسلامي عامة، إذ يعد أحد المساجد الشهيرة هناك من أمثال جامع قرطبة وأشبيلية والقرويين بفاس وكذلك جامع القيروان، وغيرها من جوامع الحواضر الأندلسية والمغربية، لكنه منذ القرن السابع الهجري وعلى امتداد الثامن والتاسع أصبح يشكل أهمية خاصة, إذ بعد سقوط الحواضر الأندلسية مثل قرطبة وأشبيلية وبلنسية وغيرها تفرد بالصدارة ليشكل مركز إشعاع في هذا الجزء من العالم الإسلامي طيلة أكثر من قرنين من الزمن، نلحظ ذلك واضحا في شد الرحال إليه من داخل وخارج الأندلس الإسلامية، خاصة من قبل علماء شمال أفريقية الذين ترددوا على الأندلس وزاروا جامعه هذا والتقوا بعلمائه وأئمته. ومع أننا لم نتوفر على ما يفيد بتعليل هذه التسمية "الأعظم" إلي أنها تعود ــ فيما يبدو ــ إلى ما بلغه من سعة وتفرد بالصدارة وإقامة الجمعة فيه دون غيره من المساجد الأخرى، ثم ما يتردد من إطلاق الفظ "الكبير" على بعض مساجد هذه المدينة، مثل مسجد البيازين الكبير، مما تطلب تمييزه بهذا الأسم. وقد اكتسب مكانة خاصة في هذه الفترة المتأخرة لدى مسلمي الأندلس، يتجلى ذلك واضحا في تقاطرهم على حلقاته وانتظامهم في دروسه، كما انعكس ذلك في تلك الرعاية والاهتمام من قبل الحكام الذين توالوا على حكم غرناطة في مراحلها التاريخية المختلفة، خاصة المتأخرة منها، ولا أدل على ذلك من أنه في عهد الدولة النصرية، كانت ولاية القضاء مشروطة بقبول إمامة صلاة الجماعة أو الجمعة في هذا الجامع [٣، ص ١٧١] فقد حظي بحضور علماء إجلاء كان لهم شأنهم وصيتهم ليس في الأندلس وحدها بل في غرب العالم الإسلامي قاطبة؛ وخوف الإطالة والتكرار نحيل القارئ الكريم على النماذج التي أشرنا إليها أثناء الحديث عن مكانة المسجد الغرناطي العلمية.

ولذا فلا نستغرب ذلك الاهتمام الرسمي والشعبي بشأن هذا الجامع، وهو ما ترجمته كثرة الأحباس الشعبية التي خص بها، وما أبدته الدولة من الاهتمام بأمره، حتى يؤدي رسالته الدينية والعلمية في هذه المدينة على أكمل وجه؛ وحين نستعرض تلك الموقوفات التي حبست على مصالحه وخدمته من قبل المحسنين المسلمين، سواء ما يتعلق منها بالعقار من بيوت وزارع ونحوها أو غيرها من موقوفات أخرى،[٤] نجد أنها كبيرة في حجمها، ثمينة في قدرها، متعددة ومتنوعة في صنفها، فكيف إذا تظافر ذلك مع ما تخصصه الدولة من مبالغ ثابتة للعناية به وإصلاح شأنه وشؤون القائمين عليه؟!.

كما يترجم ذلك الدور الريادي لهذا الجامع استقطابه لأعداد غفيرة من المصلين الغرناطيين، الذين اشاد الرحالة الألماني خيرونيمو منتزر Jeronimo Munzer ــ الذي وصل إلى غرناطة بعد سقوطها بعامين في يد النصارى الأسبان (أكتوبر ١٤٩٤م) ــ بكثرتهم في الجمع التي شهدها بهذا الجامع، والذين قدرهم بحوالي ثلاثة آلاف، صلى عدد منهم خارج حرمه لاكتظاظه بالمصلين. [١، ص ٥١]

تظهر تلك الأهمية والمكانة – أيضاً – في مشاهدات أولئك الرحالة الذين زاروا غرناطة الإسلامية، سواءاً أكانوا عرباً أو أجانب، حيث رصدوا ما رأوا من حركة ونشاط ونهضة عمرانية في هذه المدينة، فمنح بعضهم هذا الجامع

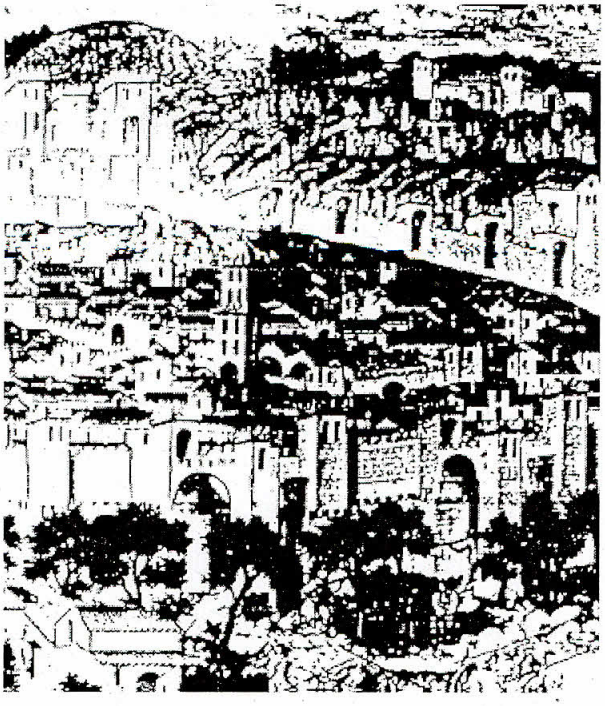
شيئا من حديثه ووصفه، وهو ما يساعد الباحث في هذا الموضوع على رسم صورة شبه متكاملة عنه، خاصة بعد تهدمه وتحويله إلى كنيسة وطمس آثاره الباقية. ومع ذلك فلا نجد من الدارسين من اهتم به أو حاول دراسته ورصد نشاطه، ما عدا الباحث الإسباني توريس بالباس Torres L. Balbas الذي تنبه إلى أهميته ومكانته في غرناطة الإسلامية وحتى بعد سقوطها، وأفرده ببحث خاص، نشره في مجلة الأندلس، و يعتبر مرجعا أساسيا لمن يكتب في هذا الموضوع لما يتضمنه من وثائق ذات قيمة في تاريخ هذا الجامع خاصة في فترة ما بعد السقوط.

أوليته وتاريخ بنائه

ومع الأسف الشديد لم تمدنا المصادر المتوفرة بمادة علمية مهمة تحدد تاريخ بناء هذا الجامع أو توضح طبيعة موقعه، وهل كان بكرا خاليا من أية بناء، أو أنه خلاف ذلك؟ إلا أننا لم نعدم بعضا من الإشارات ذات الدلالة التي يمكن أن تلقي بعض الأضواء حول هذه النقاط فالدلائل كلها تشير إلى انه أقيم على أرض فضاء، فلم تذكر المصادر الإسلامية أو النصرانية ما يفيد خلاف ذلك، إذ كان ذلك الجزء الذي شيد فوقه هذا الجامع يمثل فحص غرناطة وفضاءها، [٥، ص ٢٢] مما يعني خلوه من المباني في هذه الفترة التي بني فيها المسجد الأعظم. أما ما ذكره مورينو Moreno من أنه قد يكون شيد على أطلال معبد نصراني، [٦، ص ٢٨٠] فهو احتمال لم يقم عليه أية أدلة أو قرائن من الممكن أن تعزز هذا الظن، ولعل سنده في ذلك ما أشاعه القسس والرهبان من كونه صومعة قديمة لتبرير ذلك الإجراء المتمثل في تحويله إلى كنيسة بعد سقوط غرناطة، [٧، ص ٢٣] وليس هذا هو ما يأخذ على مورينو فقد سبق وأن أشار إلى أن هذا الجامع قد رمم في القرن الثامن الميلادي / الثاني الهجري [٦، ص ٢٨٠] !! وفي ظل المعلومات التي بين أيدينا لا نستطيع أن نجزم بتاريخ معين ودقيق لبناء هذا الجامع، وإن كان الباحث الكبير توريس بالباس قد أكد على أنه بني في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، وبالتحديد ما بين سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م و ١٠٣٨/٤٢٩م أي في الفترة التي حكم فيها زاوي بن زيري أو ابن أخيه حبوس، معتمدا في ذلك على نص ساقه ابن الخطيب يفيد بأن علي بن محمد بن توبة قد عمل منبر جامع غرناطة في شهر ربيع الأول من سنة ٤٤٧هـ/ يونيه ١٠٥٥م، [٣، ٤/٨٢] مما يعني أنه كان قائما قبل هذا التاريخ، وأن هذا القاضي قد أكمل بناءه بعمل منبر له.

وهذا الاستنتاج الذي توصل إليه بالباس يعتمد أساسا على أن الجامع المذكور هو الأعظم - محور حديثنا- لكن ليس هذا بالأكيد، لأن النص لم يحدد اسم الجامع ولا موقعه، فلماذا لا يكون المقصود هو جامع آخر كجامع القصبة مثلا القريب من قصور الزيريين وأماكن استقرارهم في القصبة القديمة؟ فحبوس وقبله عمه زاوي بن زيري انتقل إلى غرناطة - البلدة الصغيرة - مستبدلا بها ألبيرة في ظل ظروف سياسية قلقة، ومرحلة انتقالية يمر بها البربر عموما وبني زيري الصنهاجيين بشكل خاص [٨] فلا شك والحال هذه أنهم يبحثون عن المكان الآمن والحصين الذي يمثله موقع القصبة القديمة الواقع على امتداد ضفتي نهر هدارة على طول الهضبة التي ستحتضن قلعة الحمراء فيما بعد، بينها وبين حي البيازين، وهذا ما يستشف من وصف الأمير الزيري للمكان الذي اختاره جده، إذ قال: "واتفق رأي الجميع أن يخيروا لأنفسهم جبلا منيفا ومعقلا شامخا، يبنون فيه ديارهم ويرحلون إليه بقلتهم وكثرتهم، ويجعلونه القاعدة" ثم يقول: "وبصروا بالجبل الذي فيه الآن مدينة غرناطة موسطة للبلد كله، الفحص

أمامه، وجهتي الزاوية والسطح بجنبيه، ونظر الجبل وراءهن فأفتنهم المكان ... ورأوا ... أن العدو مني نازله لم يطق له حصارا ولا منعة داخلا ولا خارجا البتة"،وهذا الموقع الذي حدده الأمير الزيري هو نفس المنطقة التي تحدثنا عنها آنفا، وهو الذي يؤكد عليه بالباس نفسه عندما يشير إلى اختيار زاوي للضفة اليمنى لنهر هدارة كموقع لعاصمته الجديدة، [٩، ص ٤٣٩] بينما يقع الجامع الأعظم في موقع اسفل منه قليلا في بداية الفحص الفسيح الذي يشكله ربض الرملة والذي سيصبح مركز ثقل المدينة فيما بعد (شكل ٣).



شكل٣: منظر عام لغرناطة في القرن التاسع الهجري/ السادس عشر الميلادي وتبدو فيها أسوار المدينة والجامع الأعظم.

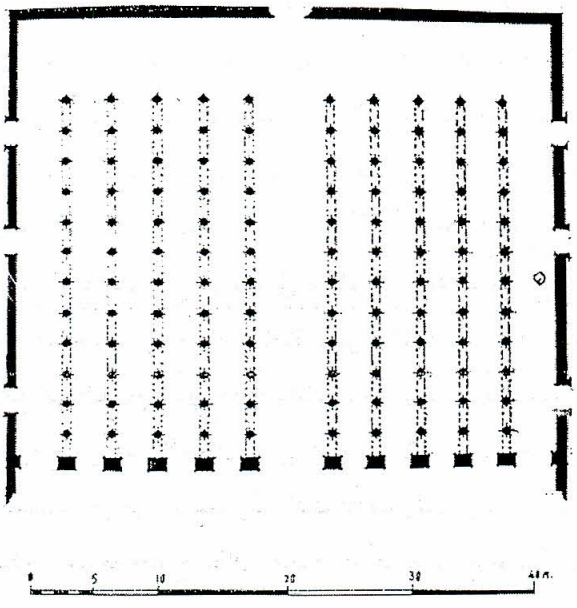
بالإضافة إلى هذه المعطيات، هناك قرائن أخرى تؤيد ما ذهبنا إليه من تساؤلات تشكك في التاريخ الذي حدده الباحث الأسباني كتوقيت لتشييد هذا الجامع، ومنها أن النص المذكور يقرن بين بناء هذا المنبر وإنشاء جسر يربط بين ضفتي نهر هدارة عرف باسم قنطرة القاضي نسبة إلى ابن توبة السالف الذكر، وهي لا تبعد كثيرا عن موقع الجامع المذكور أعني القصبة، [١٠، ص ص ٢٤-٢٥] ثم هناك دليل آخر يتمثل في الأسوار التي أقامها الزيريون حول غرناطة لحمايتها، وهي لم تمتد إلى المكان الذي يشغله الجامع المذكور في تلك الفترة، [١١] فهل من المعقول أن يتم بناء مرفق حيوي وهام يرتبط بحياة الناس ارتباطا وثيقا خارج أسوار المدينة ؟! الأمر الذي يؤكد تأخر بناء هذا الجامع عن التاريخ الذي حدده بالباس بزمن ليس بالقليل.

وللخروج من هذا الإشكال يمكن أن يفسر الأمر على النحو التالي: الجامع الذي أضيف له المنبر هو جامع القصبة أو مسجد آخر قريب منه، ولما زادت المدينة ونمت واستتب الأمن فيها، تطلب الوضع بناء الجامع الأعظم في تلك المنطقة الفسيحة خارج نطاق القصبة، ثم أصبح جامع غرناطة المعتمد، هو الذي أولاه المرابطون عناية خاصة

وزادوا فيه تلك الزيادات التي سنتوقف عندها فيما بعد، ومن هنا فيحتمل أن يكون بناء هذا الجامع قد تم في أواخر فترة إمارة الزيريين، بعد ازدهار المدينة واتساعها وكثرة سكانها في أواخر عصر الطوائف ومع بداية عهد المرابطين وحكمهم للمدينة سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م خاصة، وأن بالباس نفسه يؤكد على التشابه الكبير بين هذا الجامع وبين المساجد المرابطية الأخرى في شمال أفريقية، [٩، ص ٤١٠] والتي أمكن التعرف عليها وظل بعضها باقيا إلى الآن، وربما وقع هذا الباحث الكبير في فخ الدعاية التي تبناها بعض المغرضين من المستشرقين في حملتهم ضد المرابطين والتقليل من شأنهم وأعمالهم في أسبانيا الإسلامية أمثال دوزي ومن سار في ركبه، ولذا فقد استكثر قيامهم بمثل هذا المشروع المهم مع انه يتماشى مع سياستهم الدينية والعمرانية التي دعمت تلك الأعمال التي تدخل في نطاق المنشآت الدينية، وهي قضية اتفق عليها الباحثون من مختلف المشارب، ثم إن الباحث نفسه قد أكد على عدم اهتمام أمراء الطوائف بمثل تلك المباني، [١٣] خاصة بني زيري الذين أثبتوا أنهم أقل الجميع اهتماما بالأمور الدينية، مما جعلهم يصطدمون ببعض فقهاء غرناطة، الذين لجأوا إلى المرابطين لشكايتهم ودعوتهم لإزاحتهم. [٨، ص ٣٢٩]

ترميمه وإصلاحه

كما هو الحال مع الإشكالات السابقة لم نظفر بمعلومات شافية حول هذه النقطة، وكل ما هنالك هو إشارات عابرة تفيد بزيادات أو ترميمات محدودة أجريت عليه، فمثلا أشارت إلى توسعة هذا الجامع وإصلاحه والزيادة في مرافقه في عهد المرابطين، إذ قام الوزير عبدالرحمن المعافري، [٣، ٣/٥٢٤-٥٢٧] بتكليف من أميره علي بن يوسف بن تاشفين بزيادة في سقفه سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م، ويؤكد المقري أن تلك الزيادة التي أجريت على سقفه قد أخذت من صحن المسجد، [١٥، ٣/٢٣٢] كما قام الوزير نفسه بالترميم والتعديل والتحسين في أجزاء الجامع الداخلية، [٣، ٣/٥٢٤] وهذا كما يبدو لمواجهة الزيادة المستمرة في عدد مرتاديه (شكل ٤).



شكل٤: مخطط تقريبي للجامع الأعظم بعد استكمال بنائه في القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادي والثاني عشر الميلادي

ومع أنه قد مر بعدة مراحل من التطوير والتوسعة والإصلاح خلال عمره الطويل، إلا انه يصعب التعرف على تلك الإجراءات نظرا لعدم توفر المادة العلمية الكافية لبحث هذه الجوانب.

مادة بناءه

أما عن المواد الداخلة في بنائه، فلا شك أنها خليط من تلك التي توفرها البيئة الغرناطية، مع توظيف عناصر أخرى قد لا تتوفر في هذه المدينة، وإن كان ذلك بشكل محدود، فالملاط الذي هو مزيج من الجير والرمل وقطع الحجارة الصغيرة، [١٦، ص٤٩٠] والذي يشكل مادة شديدة الصلابة، حل في هذه الفترة التي شيد فيها هذا الجامع محل الكتل الحجرية الكلاسيكية التي استخدمت في عهد الخلافة كأساس للمباني، وهي مادة تمتاز بالرخص والمتانة والوفرة.

ومن استعراض تفاصيل المبنى التي جادت بها الوثائق القليلة المتوفرة، نخرج ببعض التصورات عن مكونات مادة بنائه، فالحيطان عملت بالحجارة في بعض أجزائها، والطوب في الأجزاء الباقية، كل ذلك فوق أساس من الملاط، ثم كسيت بالجص، أما السقوف فقد عملت في البداية من الخشب الناعم الذي استحضر من البيئة المحلية حيث توجد الأشجار الكثيفة في بعض المواقع، ثم تطور الحال إلى استخدام القرميد إذ غطيت به السقوف، التي كانت ملساء من الداخل في معظم أجزائها، وظلت سقوف الأروقة المتوازية والتي تشبه مثيلاتها في مسجد قرطبة، مغطاة هي الأخرى بنفس المادة، أما الأعمدة فقد اتخذت من جذوع الأشجار في مرحلة البناء الأولى، وهو ما تؤكده بقايا بعض المباني التي تنتمي إلى تلك الفترة، [١٢، ص ص ٤٢٤-٤٢٩] لكن الوضع تغير بعد التعديل المهم الذي أدخله عليه الوزير المعافري زمن المرابطين، إذ استبدل هذه الأعمدة بأخرى من الرخام ذات تيجان قرطبية، نقلت من بقايا قصور الزهراء المتهدمة قرب قرطبة، [٣، ٥٢٤/٣] ويشير بالباس إلى احتمال أن ذلك الإصلاح قد تم في قواعد هذا الجامع اليمنى، وأن السقف قد عمل من الخشب المنقوش والمعشق، وأنهم ربما أضافوا بعض العناصر الزخرفية الجصية في حيطانه. [١٢، ص ٤٣٢]

صفته

كنا نؤمل كثيرا على ما سجله المؤرخون الأندلسيون والرحالة المسلمون حول هذا الموضوع، لكن الأمل تبخر بعد استعراض طويل لما جادت به أقلام هؤلاء وما حوته كتبهم، فحتى مؤرخنا ابن الخطيب الذي أمضى أغلب فترات عمره في جنبات غرناطة وتقلب في مرابعها، لم يتوقف عند هذا الجامع بوصف أو تعريف، اللهم إلا ما ورد عرضا، مع أنه تطرق في كتبه ورسائله لأمور متعددة وقضايا دقيقة ومعالم أقل أهمية في هذه المدينة وما حولها، مثله في ذلك ابن بطوطة الذي مر بغرناطة سنة ٧٥٠هـ/١٣٥٠م واكتفى بوصف عام للمدينة دون تفصيل لمعالمها، [١٧، ج٢، ص ص ٧٦٩-٧٧٨] ولذا فإن العمري الذي زار غرناطة سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٩م، يعد أبرز من فصل الحديث عن معالم المدينة العمرانية والطبيعية ومجتمع أهلها وغير ذلك من الأمور التي تهم الباحث، وبهذا يكون قد شذ عن قاعدة الصمت التي مارسها مؤرخو غرناطة حيال هذا الموضوع الذي نحن بصدد الحديث عنه سواء في ذلك

أبناؤها أو من كتبوا عنها من غيرهم، إذ يصف جامعها الأعظم بشيء من الانبهار وإطراء عظمته وروعته، ويروي أن سقفه مرفوع بأعمدة أنيقة، وأن الماء يجري فيه، ويصف مبناه بأنه يحتل موقعا مستقلا لا يلاصقه بناء، وأن الدكاكين تحيط به، كما يشيد بحلقات العلم ومجالسه في أروقة هذا الجامع المتعددة، ثم يقول: إنه "معمور بالخير كل حين". [١١، ص ص ١٥٤-١٥٨] وليس العمري وحيدا في شذوذه المذكور فقد نهج نهجه رحالة آخر هو عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي عندما وصل غرناطة زائرا في عهد السلطان أبي الحسن علي بن سعد سنة ٨٧٠هـ/١٤٦٦م أي قبل السقوط بحوالي سبع وعشرين سنة، فتوقف بالوصف عن ابرز معالم المدينة ولم ينس جامعها الأعظم بالذكر وإن كان على استحياء وبإشارة عابرة، [١٨، ص ص ٣٠٧-٣٣٤] أما الرحالة الأجانب فقد تميزوا بدقة الوصف، فالأشياء الصغيرة تلفت أنظارهم قبل الكبيرة، خاصة الدينية منها، في وقت كانت أوروبا في أوج فورتها الدينية، وخير من يمثل هؤلاء الرحالة الألماني السالف الذكر، الذي يصف هذا الجامع ومرافقه بعد جولة متأنية في أرجائه بالرحابة والسعة، ويشيد بعمارته وما بذل فيها من جهد ومال تجلت فيها العظمة والفخامة، ثم يذكر أنه قد فرش بالبسط الفخمة الناعمة، وأضيء بعدد كبير من المصابيح والثريات، وختم حديثه بالقول: "كل ذلك شيد بعناية تامة، ودقة متناهية تثير الدهشة والإعجاب". [١، ص ٤٢] وقد أمدنا هذا الرحالة بمعلومات ذات قيمة علمية بالغة، سواء فيما يتعلق بأبعاد هذا الجامع ومساحته وتفصيلاته الداخلية ومرافقه، أو فيما يخص الأنشطة التي تقام فيه من صلاة وحلقات علم وذكر وأذان وخطبة جمعة وغيرها مما لفت انتباهه من موضوعات.

كذلك حول القسيس الفرنسي فرانكو برتو Francois Bertaut الذي جاء إسبانيا لإلقاء بعض المحاضرات الدينية، وزار غرناطة سنة ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م، وصف المسجد المحول إلى معبد نصراني، بأنه ما زال يحتفظ بشكله الإسلامي القديم، وأثار إعجابه نقش الأعمدة الصغيرة في هذا الجامع، ولم يخف تعصبه ومحاولته الحط من قيمة وأهمية المبنى، [١٢، ص ٤١٧] خاصة وأنه قد شاخ وأصابه الوهن في ظل الإهمال النصراني في هذه الفترة.

كما زار هذه المدينة غير هؤلاء من الرحالة الأجانب، لكنهم لم يتوقفوا كثيرا عندما يهم موضوعنا هذا، فلم يتحدثوا بشيء ذي بال حول هذه المنشآت. [١٩، ص ص ١٤١-١٤٥]

وقد اعتمد بالباس في بحثه حول هذا الجامع من ضمن ما اعتمده من مصادر، على نشرة تكاد تكون مجهولة تحوي مخططا لهذا المسجد، رسم سنة ١١١٦هـ/١٧٠٤م، عندما تقرر هدمه، وذلك للاحتفاظ به في إرشيف إدارة هذا المبنى، [١٢، ص ٤١١] وهي وثيقة غامضة – حسب رأي بالباس – تذكر أوصافا غير دقيقة وموجزة، بالإضافة إلى كونها ذات صبغة رسمية لا تخلو من الهوى والتعصب، [١٢، ص ٤١١] مثلها في ذلك مثل تلك اللوحة التي احتفظ بها الإسكوريال، لتمثل فحص غرناطة في القرن الخامس عشر الميلادي ولتعكس صورة المدينة في تلك الفترة، وتوضح مظهرها ومعالمها، إذ يظهر هذا الجامع شامخا بمناره المتميز الأنيق، وسقفه المغطى بالقرميد، وقبته البارزة. [١٢، ص ص ٤١٤-٤١٥]

شكله وأبعاده

لم توفر لنا المصادر العربية شيئا ذي جدوى حول شكل هذا الجامع أو طوله وعرضه، لكن مصادر أخرى سدت هذه الفجوة، أولها ما أورده الرحالة الألماني منتزر، ثم الوثائق الأجنبية الأخرى التي اعتمدها بعض الباحثين

الأسبان، يضاف إليها ما اكتشفه هؤلاء في المنطقة نفسها بواسطة تلك التنقيبات الأثرية التي قاموا بها، وتوصلوا خلالها إلى بعض النتائج المهمة، ومنها نستنتج أن هذا الجامع كان يأخذ شكلا مستطيلا في مساحة إجمالية تقرب من ألف وستمائة وعشرون مترا بأبعاد هي ٣٦x٤٥ مترا، [٦، ص ٢٨٣] متجها نحو الشرق بانحراف يسير نحو الجنوب الشرقي، أما عدد بلاطاته فإحدى عشرة بلاطة، [٦، ص ٢٨٣] تأخذ اتجاها موحدا إلى جدار القبلة، وفي رأي مورينو فإن عرض البلاطتين الجانبيتين يزيد على عشرة أقدام، [٦، ص ٢٨٣] وعلى هذا الأساس تكون هذه أكثر عرضا من البلاطات الأخرى، فيما عدا البلاطة الوسطى التي تعتبر أكثر سعة من الجميع، [١٢، ص ٤٢٠] تفصل بين هذه عشرة صفوف من الأعمدة التي كسيت بالمرمر الأبيض، والتي قدرت بحوالي مائة وعشرين، [١٢، ص ٤٢٠] وهو عدد ليس نهائيا، إذ يختلف – قليلا – من مصدر لآخر، وترتبط هذه الأعمدة فيما بينها بعقود على شكل حدوة الفرس تستند على تيجان جميلة، قدرها البعض بمائة وثلاثين، [١٢، ص ٤٢٠] وفي سياق المقارنات فقد أكد بعض الباحثين تشابه المساجد التي قام بإنشائها المرابطون، مما يوحي لنا بأن مسجد الجزائر الذي ما زالت بقاياه المرابطية، هو أقربها إلى جامع غرناطة الأعظم نظرا للفترة الزمنية التي بني فيها المسجد الأول واستكمل أو بني الثاني والتي تمت تحت إشراف الدولة ذاتها، [١٢، ص ٤٣١] ومنها نستنتج تشابها واضحا في عدد البلاطات، وكذلك في عقوده التي تقوم على دعائم حجرية، وغير ذلك مما يؤكد ذلك الشبه القائم بينها، وهو مما يؤكد أطروحة نسبته إلى فترة المرابطين وليس الطوائف (شكل ٥-٦).

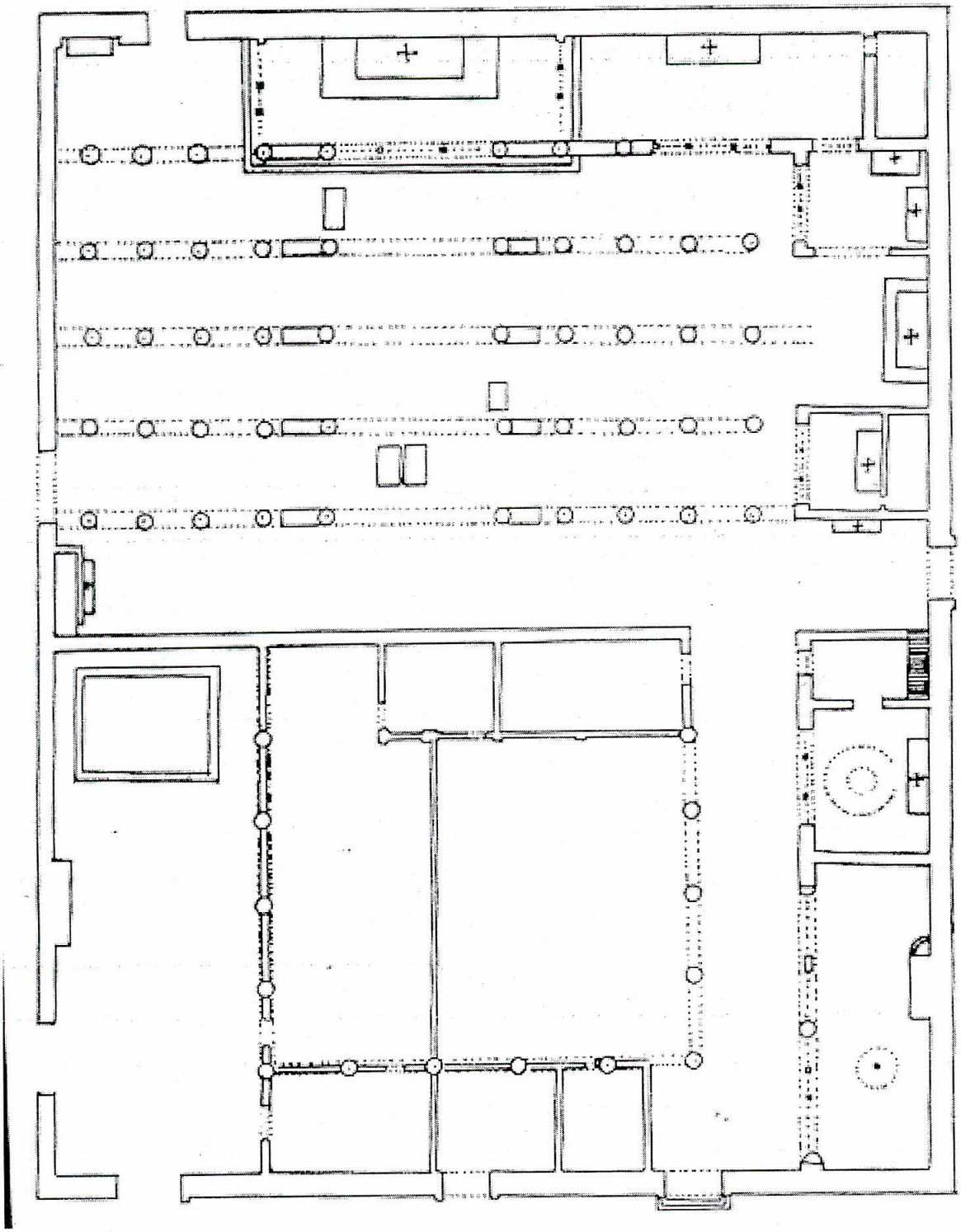
ويأخذ السقف شكل قباب متلاصقة فوق الأروقة وفي الوسط قبة كبرى بها نوافذ متعددة تمد المسجد بالإنارة الطبيعية، [٢١] ويظهر بوضوح اقتباس هذه من جامع قرطبة الكبير، مثلما هو الحال مع المحراب والمنبر اللذان لا نعتقد باختلافهما الكبير مع الجامع المذكور.

أما الأبواب فقد كان لهذا الجامع ثلاثة، منها: اثنان رئيسيان كبيران، [١٢، ص ٤٢٢] أما الثالث فيقع في حائط القبلة للحالات الاستثنائية مثل دخول الإمام ونحو ذلك، لكن هناك من يظن أن عدد الأبواب أربعة في كل حائط واحد منها، [١٢، ص ٤٢٢] ويبدو أن هذه الأبواب كانت على غاية من الإتقان وجودة الصنعة، نقشت عليها وفوق أعتابها نصوص قرآنية وأدعية مأثورة وتوجيهات عامة للمصلين. [١٢، ص ص ٤٢٢-٤٢٣]

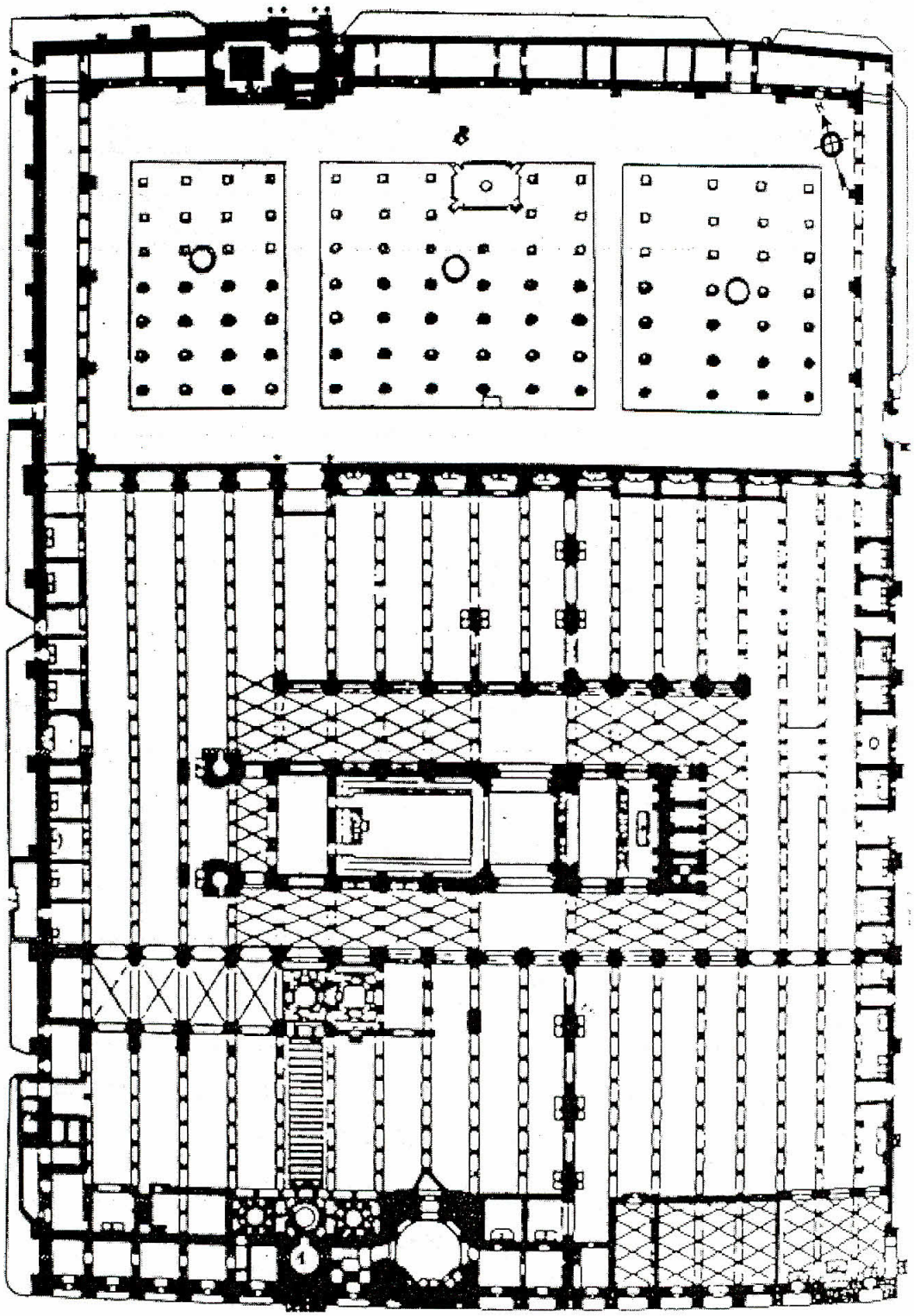
مرافقه وملاحقه

أ- الصحن أو الفناء:

يستشف من المعلومات المتوفرة، سعة فناء هذا الجامع ورحابته، وهو ما استغله القادمون من خارج مدينة غرناطة لاستراحتهم ووضع أغراضهم فيه. [٤، ٩٧/١١] ويتوسط هذا الصحن بئر عمقه ٣٦ قدم، قد عمل بالطوب على شكل حلزوني، ووضع به سلم لتنظيفه، [١٢، ص ٤٢٢] كما يتوسط الصحن حوض مملوء بالمياه، يبدو أنه قد أعد للسقيا لملئه أيام جريان الأنهار، واستعمال مياهه للوضوء والسقيا عندما يقل منسوب الأنهار وفي أيام الجفاف. ومن المناقشات الدائرة بين فقهاء غرناطة حول زرع الشجر من عدمه في فناء المساجد، [٢٢، ص ٣٤١] يستنتج أنه قد تم غرسه بالأشجار.



شكل ٥: مخطط الجامع الأعظم قبيل إزالته نهائيا سنة ١٧٠٤م.



شكل ٦: مخطط جامع قرطبة الكبير.

هذا ويبدو أن الحاجة ماسة لتوسعة هذا الجامع على عهد الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين قد دعت إلى اقتطاع جزء ليس بالقليل من هذا الفناء لصالح بيت الصلاة، بعد أن تم سقفه وإدخاله ضمن المصلى، وفي هذا السياق أدخل ذلك المهندس المسلم الذي قام بتلك العملية بعض من الترميمات على الصحن نفسه، ظهر لنا منها تبليطه كاملا بالحجر الناعم. [٣، ٣/٥٢٤]

وتصور بعض الوثائق، إحاطة هذا الفناء بالأروقة، لكن يصعب معرفة ما إذا كانت من الجوانب الثلاثة أم من جانبين فقط، لكن يلاحظ في مسجد الجزائر قريب الشبه به – كما ذكرنا سابقا – أن صحنه محاط بثلاث مجنبات يتألف اثنان منها من ثلاثة أروقة بينما تحتوي المجنبة الخلفية على رواق واحد. [٢٣، ص ٢٣٥]

ب- المئذنة أو المنار :

تنتصب المآذن عادة على زوايا المساجد كمعلم واضح يدل عليها، وتنطلق منه أصوات المؤذنين خمس مرات في اليوم والليلة منادية بـ "حي على الصلاة". وفي الطرف الشمالي الغربي لصحن الجامع الأعظم الغرناطي يرتفع مناره شامخا ومتخطيا أعلى البنايات الغرناطية، مما جعله معلما ليس للجامع وحده بل لغرناطة المدينة، وقد تكونت لدينا فكرة واضحة عن هذه المئذنة، والفضل في ذلك يعود للباحث بالباس الذي استفاد بدوره من عدة وثائق وشواهد أهمها تلك اللوحة المرسومة في القرن الخامس عشر والتي تعطي صورة واضحة لغرناطة، وتبين بشكل خاص الجامع ومناره هذا، أما الآخر فالرسم التخطيطي للجامع ومناره الذي عمل سنة ١٠٢٣هـ/١٦١٤م اعتمادا على وثائق سابقة عملت له قبل هدمه، بالإضافة إلى ما وقع تحت يده من شواهد أثرية ووثائقية أخرى، ويقارنه بمنار مسجد المرابطين بغرناطة، معتمدا في ذلك على طراز البناء ومادته، خاصة وأنه باشر ترميم مئذنة المرابطين بنفسه. [١٢، ص ص ٤٢٣-٤٢٥]

تقوم هذه المئذنة على قاعدة صلبة من خليط متماسك من الحجارة والملاط، وتتكون من مبنى رباعي الشكل على قاعدة مربعة طول ضلعها ٤٦ ٤ مترا، مشيدة بالحجارة الخالصة ومكسية بالجص، أما ارتفاعها فكان ٤٠ ١٣مترا لكن ذلك لا يعني الارتفاع الكامل، بل بعد تهدم أجزاء منها في الزلزال المدمر الذي أضر بها كثيرا وأسقط أجزاء منها سنة ٩٣٢هـ/١٥٢٦م . ويبلغ سمك حائطها حوالي ٧٠سم، وفي وسطها ٢٠ خطوة مملوءة بالمياه، ولم يحدد لنا مصدر هذا الماء، لكن يبدو أنه قد أوصل إليه بواسطة قناة مائية من نهر هدارة القريب منه، ثم يذكر أن هذا الحوض الكبير يتفرع منه عدة قنوات مائية صغيرة تقوم فوقها قباب تشكل عددا من الحمامات ذات فتحات أرضية سعة كل منها ذراع طولا، وبعرض مقداره شبرا، وذكر أن الماء يجري في جزئها العلوي ومن تحتها، ولم يخف إعجابه بهذا التصميم الدقيق. [١، ص ٤٢]

وامتدادا لهذه الرعاية والعناية بهذا الجامع ومرافقه فقد أوكلت مهمة نظافة وصيانة هذه الميضأة إلى موظف خاص، يقوم بذلك كل يوم. [١٢، ص ٤٢٦] وكان أول ما اختفى من معالم هذا الجامع بعد الاستيلاء عليه وتحويله إلى كنيسة ميضأته وحمامه، نظرا لأن المجتمع النصراني لم يكن بحاجة إليهما، خاصة في هذه الفترة التي بلغ فيها التزمت الديني

مبلغه، حيث كان القسس والرهبان يحضون أتباعهم على القذارة وعدم مس الماء، ويفتخرون بطول المدة التي يبقون فيها دون اغتسال. [٢٤، ص ص ١١٦-١١٨]

نهايته

ظل هذا الجامع صامدا يؤدي دوره بصمت رغم التقلبات السياسية الخطيرة التي تمر بها غرناطة في العقود الأخيرة من عمرها الإسلامي، سواء منها ما يتعلق بمآمرات القصر ودسائسه أو الثورات الشعبية التي يحركها هذا الطرف أو ذاك، لكن هذا الصمود تحطم على صخرة ذلك الحدث الكبير ألا وهو سقوط المدينة ودخولها في يد النصارى الأسبان في الثاني من ربيع الأول سنة ٨٩٧هـ الموافق ٢ يناير ١٤٩٢م، ومعه تبدأ فترة أخرى وتاريخ آخر لهذه المدينة.

لقد بدا من الواضح اهتمام الحكومة الأسبانية المنتصرة بهذا الجامع منذ البداية، فهناك إشارات غير مؤكدة تذكر أن فرناندو لما دخل غرناطة صلى صلاة الشكر مع إسابيلا، واقام قداس النصر فيه، [٢٥، ص ٥٢٠] ومرد هذا الاهتمام موقعه المتوسط، وحسن بنائه وسعة حجمه، كونه رمزا لوحدة مسلمي غرناطة، الذين يؤمونه كل يوم جمعة، ومع ذلك فلدينا وثيقة تفيد بإقامة صلاة الجمعة فيه بعد السقوط، فالرحالة الألماني منتزر Munzer الذي زار غرناطة بعد سنتين من سقوطها، يؤكد لنا ذلك بل يزيده توثيقا بوصفه المفصل لوقائع صلاة الجمعة وخطبتيها، وما جرى بعد الانتهاء منها. [١، ص ٥١]

ويبدو أنه كان من أوائل المساجد الغرناطية تعرضا للمضايقة، للأسباب التي ذكرناها سابقا، إلا أن عملية الإغلاق والتحويل تأخرت قليلا خوفا من ردة الفعل الإسلامية نظرا لكونه الجامع الأهم في المدينة، فمع ظهور الإشارات الأولى لنقض بنود الاتفاقية والنكث بالعهود التي قطعت للمسلمين، فقد توجهت إليه الأنظار، إلا أن الوثائق لم تحدد لنا مصيره خلال هذه السنين التي سبقت مصادرته، أي فيما بين سنة ١٤٩٢م و ١٥٠١م، ولا يستبعد أنه ظل مفتوحا للمسلمين جزءا من ذلك الزمن، وبدأت مضايقتهم حتى تم إغلاقه، ثم تلى ذلك إجراءات تحويله إلى كنيسة، إذ صدر القرار رسميا بذلك سنة ١٥٠١م، فأصبح معبدا كاثوليكيا دون أية إضافة أو تعديلات على مبناه، [١٢، ص ٤١٦] ثم أنشيء فيه المصلى الملكي سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م، [٦، ص ٢٨٧] وقد رفعت بعد ذلك درجته إلى كنيسة عظمى (كاتدرائية) سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م، [١٢، ص ٤١٦] هي المعروفة الآن في وسط غرناطة بالكاتدرال سجراريو Sagrario.

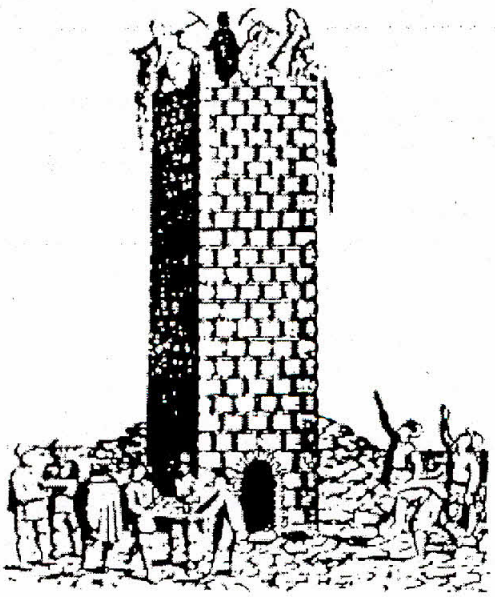
كانت التعديلات المبدئية التي أضيفت إلى هذا الجامع محدودة ليتماشى ذلك مع وضعه ككنيسة، إذ حورت أجزاء منه أو أضيفت غليه أجزاء أخرى من مذابح ومصليات ومنابر، [٦، ص ص ٢٨٨-٢٨٩] لكنه بقي محافظا على شكله وهيكله العام، وهو ما يؤكده القسيس الفرنسي فرانكوس برتو Francos Bertaut الذي زار غرناطة في عام ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م، ووصف المعبد الإسلامي المحول إلى كنيسة، وأبرز هذه الحقيقة، وإن ظهرت علائم الشيخوخة واضحة في ثنايا وصفه، على هذا المبنى، [١٢، ص ٤١٧] إذ لم يمض على زيارته تلك إلا سنتين، فكان بعدها قرار هدمه سنة ١٠٧٢هـ/١٦٦١م، وإن كان ذلك الهدم لم يشمل كل مبنى الجامع، إذ شمل جزؤه الغربي

بالدرجة الأولى، وترك الباقي على حاله بعد ترميمه، [٦، ص ٢٤٨] لكن اختفاؤه النهائي كان سنة ١١١٦هـ/١٧٠٤م، [١٢، ص ص ٤١١-٤١٧] حيث شيدت الكنيسة الحالية التي تعد أهم كنائس المدينة حاليا، على طراز معمار عصر النهضة (شكل ٧-٨).

أما منار هذا المسجد المتميز والذي كان يعد من أهم معالم غرناطة الإسلامية، فقد ظل يقاوم عاديات الزمن فترة طويلة، وإن كان الزلزال القوي الذي ضرب هذه المدينة عام ٩٣٢هـ/١٥٢٦م، قد أثر فيه تاثيرا بالغا، إلا أنه بقي صامدا على الرغم من إطلاق اسم "المنار القديم" عليه، وأخيرا تقرر إزالته نهائيا في سنة ٩٩٦هـ/١٥٨٨م، [١٢، ص ص ٤١٧-٤٢٤] وإقامة المنار المعروف بـ "توربيانا Turpiana" مكانه. [١٢، ص ٤٢٤]



شكل ٧:البريانة Turpiana وقد حل محل مئذنة الجامع الأعظم كبرج للنواقيس.



شكل ٨: تمثل هذه الصورة إجراءات هدم مئذنة الجامع الأعظم الغرناطي.

وهكذا اختفى هذا الجامع الذي ظل أكثر من أربعة قرون، هي عصر هذه المدينة الذهبي، كان خلالها مركزا علميا ومعلما حضاريا، التف حوله الغرناطيون في صلواتهم وشؤون حياتهم الدينية والدنيوية، ومنحوه كل رعاية وتقدير. ومما يجدر ذكره في هذا المقام، أن الكنيسة (Sagrario) التي حلت محل المسجد الأعظم، تضم في قبتها الآن رفاة الملكين الكاثوليكيين فرناندو وإسابيلا وإلى جوارهما ابنهما وشخصيات نصرانية أخرى مهمة. [٦، ص ص ٢٨٧-٣٠٥]

المراجع

[١] Munzer, J. *Viaje por Espana y Portugal*. Granada, 1987

[٢] Martinez Perez, M.T. "Las Mezquitas de Granada en Los Libros de Habices". *Andalucia Islamica*. Vol4-5(1927)

[٣] ابن الخطيب. *الاحاطة في اخبار غرناطة*. تحقيق عنان. القاهرة، ١٩٧٥

[٤] الونشريسي، احمد. *المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية و الاندلس و المغرب*. بيروت، ١٩٩٠

[٥] بروفنسال، ليفي. *مذكرات الامير عبد الله*. مصر: دار المعارف، ١٩٥٥

[٦] Gomez, Morneo. *Guia de Granada*. Granada, 1892

[٧] الحجري، احمد قاسم. *ناصر الدين على القوم الكافرين*. تحقيق محمد رزق. الدار البيضاء، ١٩٨٧

[٨] عنان، محمد. *دول الطوائف*. القاهرة، ١٩٦٠

[٩] "el Alminar de la Iglesia de San Jose". *Al Andalus*. Vol 4 (1941)

[١٠] Abbas, Ridha Hadi. *Toponimos espan oles relacionados con el Cadiazgo*. Granada, 1988

[١١] العمري، احمد. *مسلك الابصار في ممالك الامصار*. تحقيق مصطفى ابو ضيف. الدار البيضاء، ١٩٨٨

[١٢] Bablas, L."La Mezquita mayor de granada". *Al Andalus*. Vol.10 (1945)

[١٣] غازي، سيد (ترجمة). *الفن المرابطي و الموحدي*. القاهرة، ١٩٧١

[١٤] النباهي، ابو الحسن. *المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا*. بيروت

[١٥] *النفح*

[١٦] مورينو، مانويل جوميث. *الفن الاسلامي في اسبانيا*. ترجمة لطفي عبد البديع و السيد سالم. القاهرة،

[١٧] ابن بطوطة. *تحفة النظار في غرائب الامصار و عجائب الاسفار*. تحقيق علي النتصر الكيلاني. بيروت

[١٨] *الروض الباسم في حوادث العمر و التراجم*. مخطوط مكتبة الفاتيكان رقم ٧٢٨-٧٢٩

[١٩] الطوخي، احمد. "غرناطة الاسلامية في نظر الرحالة الاجانب". *اوراق*. ٧، (١٩٨١)

[٢٠] Vin'es Cristina. *Granada en los Libros de viaje*. Granada, 1982

[٢١] سالم، السيد عبد العزيز. *المساجد و القصور في الاندلس*. الاسكندرية، ١٩٨٦

[٢٢] الزركشي، محمد. *اعلام الساجد باحكام المساجد*. القاهرة، ١٤٠٣ه

[٢٣] مؤنس، حسين. *المساجد*. سلسلة عالم المعرفة (٣٧). الكويت، ١٩٨١

[٢٤] بلباس. "الابنية الاسبانية الاسلامية". *المعهد المصري*. ١(١٩٥٣)

[٢٥] Irving. *La Cronica*

The Great Mosque of Granada: A Historical Study

Saleh Bin Mohammad Al-Sunaydi

Department of History and Civilisation, Imam Mohammad Bin Saud Islamic University
Riyadh, Saudi Arabia

Abstract: Granada was one of Andalusia's greatest cities. It had a large number of mosques including the Great Mosque, the subject of this study. This article reviews a number of important sides related to that mosque and deals, in particular, with its history, distinctive characteristics, form and dimensions, design and the constituent elements, the minaret and the materials that had been used to build it. The article concludes by citing what had become of that mosque and the end of that great mosque.